ما هيّ التّأويليّة؟

تأليف : جان غراندن

? Qu'est-ce que l'interprétation

Jean GRONDIN

تعريب : بلقناديل عبدالقادرجامعة : تلمسان - قسم العلوم الإنسانية) جوان2015)

I-التأويليّة الفيلولوجيّة

II-التأويليّة الفنّية

III-التأويليّة الترجميّة

IV-التأويليّة القانونيّة/القضائيّة

V-تأويليّة «حُضُورِنَا فِي الْعَالَمِ»

Jean GRONDIN. http://www.mapageweb.umontreal.ca/textes_htm/interpretation.pdf(consult232012-03-

8822_p126p131_AL page126 Mercredi, 22 septembre 2004 2 :06 14

تمهيدٌ

للتَّمهيد، يَطيب لنا القول عن **التأويليّة** l'interprétation ما كان (أرسطوAristote -) يقوله دائما عن **الوجود**l'Etre في كتاباته الميتافيزيقية : « - pollachos legetai إنّها حمّالة عدة وجوه ». حتىّ و إن قيل، بأنّ أيّ **تحليل فلسفيّ**، لن يصل إلى إنجاز مهمّته، سوى إذا أُشتُغِلَ فيه بحثًا عن الإحاطة **بنقطة دلالة مُوحّدة**؛ فإنّ هذا التّحليل، سيكون في هذه الحالة، عاجزا تماما؛ كما يبرهن عليه مرة أخرى مثال (أرسطو)، بما أنّ الاشتغال سينصبُّ، قبل أيّ شيء آخر، على **الإحاطة** بنطاق واسع جدّا من التّمظهُرات الممكنة لتلك **الدّلالة:**

ففي أيّ **سيّاق** و بأيّ **الطّرُق** يجري الكلام عن **التأويلية؟**

I-التأويليّة الفِيلولوجيّة

إن لزم البدء بهـــا، فذلك لأنّ الأمر يتعلّق **بنمط** من التّأويليّة، عادة ما يتّخذه **الفلاسفة**، باعتباره الأكثر **تأسيساً**. بل قد يكون عندهم الأكثر **أُلفة** من البقية. فمن الصّعب جدًا، أن نتخيّل فلاسفة أو أساتذة للفلسفة لم يتفرّغوا قطّ **لتأويليّة النّصُوص**.

يكون موضوع التأويلية - ما يطلق عليه في العموم اسم Interpretandum - ذي هندسةٍ متغيرة:

الْمـُـؤَوّلُ (l'interprète - l'interprétant) الّذي قد يكون عمله **شَرْح** جملــة، أو حتىّ كلمـةٍ. لكن قد يتعلّق الأمر أيضًا بــ: مُؤَلّفٍ/كتابٍ ouvrage، قصيدة poème، فكرpensée،كاتبٍauteur، أو بــالرُّوح السّائد في عصـرٍ ما l'esprit d'une époque...

و بناء على **القاعدة العامة**، نستطيع القول بأنه **يجب علينا تأويل نصٍّ ما**، ما دام هذا النَّصُّ، يُبدي أدنى حالة من **الغمُوض**؛ وتكون **وظيفة التأويليّة** هيّ **رَفْع ذلك الغموض**، أو على الأقل، جعله **قابلا للإدراك.**

II- التأويليّة الفَنِّيـــَــة

مع أنَّها مشْهورة على نطاق واسع، لكن الرَّاجح أنّه **نادْرا** ما جرى **تحليلها** من طرف **الفلاسفة**. كثيرًا ما نجدها، على نحو خاص، فيما يُطلق عليه بالفرنسية Les Arts D'interprétation (في الإنجليزية يقولون Performing arts بمعنى فنون اللِّياقــة art de performance):

الرّقْصُ la danse، **المسْرح** théâtre، **الأُوبّرا**opéra و **المُوسِيقَى**musique ...

يعني «**فعل التأويل** Interpréter» هنا أنّ ما يجري هوّ **إنجازٌ** أو **أداءٌ** لأثرٍ فنّيٍّ ما œuvre، وذلك بالاعتماد، في الغالب الأعم، على **نصٍّ** أو **مقطوعة** partition. من الصّعب جدًّا الكلام هنا، عن نصّ أو مقطوعة قد تكون قبليًّا apriori معتّمة obscure. مثل هذا الأمر ليس منعدما تمامًا، إلا أنه إذا كانت عملية التأويل الّتي قد جرى اعتمادها requise ، ليست بشكل جوهري، لأجل رفع لبْس ما une ambiguïté ؛ إنّما لأن التُّحفة الفنِّيّة بكل بساطة **تستدعي مَنْ يؤديها**، مَنْ يقوم **بإخراجها** mise en scène من طرف من يُطلق عليهم في العادة «الممثلون les interprètes ». إنها تأويلية تتطلب نوعًا من المهارة في الأداء virtuosité (هناك صاحب الأداء الحسن والممتاز وهناك الأقل حسنًا) التي بمناسبتها يمكن الحديث عن الصَّوابيَّة Justesse (فالتُّحفة إمّا تُعرض rendu عرضًا حسنًا أو سيئًا)

سيجري هنا، بكل تأكيد، تميز هذه **التأويلية الفنِّية** interprétation artistique عن **التأويلية النَّقْدية** critique . هذه الّتي تأتي مستعرضة **لعملية تقييميّة** évaluation.

في استطاعة **ناقدٍ** ما أن يؤول interpréter تأويليَّةَ مَشْهَد ما un pièce ، إلاّ أنّ عمله، ينتسب أكثر فأكثر إلى النّمَطِ **الأول** من التأويليَّة الفيولوجية أكثر من **الثاني**، حتى وإن استطاع بواسطة تلك المهارة في الأداءvirtuosité ، **الاقتراب** أيضا من الثاني.

III-التأويلية الترجُميَّة

على الرُّغم من أنها **تتقيّد داخل** النّطاق الّذي أخذته التّأْويليَّتيْن السَّابقتين لها، في استطاعتنا تمييز صورة **ثالثة** مستقلة لتأويليّةٍ أوّل ما تَنْتسبُ إلى **التَّرْجَمَةِ** La traduction.

فعلاً، عادة ما يُعْطَى اسم **المؤَوِّل** interprète لذلك الشخص الذي يضمن الانتقال/العبور من **لسانٍ** إلى **آخر**. فعندما يلتقي رئيس الدّولة برئيس دولة أخرى وهو لا يعرف شيئًا عن اللِّسان الذي يتكلمه، فقد يحتاج إلى **مؤوّل تُرجُمان** interprète .

في هذا المستوى، لنا أن نلاحظ بأن الكلام بحرص؛ خصوصًا «الترجمة traduction» عندما يتعلَّق الأمر بترجمة مدوَّنات écrit، إلا أن كلمة التّأويليّة، تفرض نفسها بشكل طبيعي أكثر، عندما نكون بصدد عملية تراسلات/اتصالات **شفوية** transmissions aurales .

فإذا أمكن التعرّف فيها على **صورة** مستقلة من التأويليَّة ، فلا يتعلّق الأمر هنا حقًّا، برفع لبسٍ ما (مثلما هو الحال في التأويلية الفيلولوجية) أو بذل الجهد في إظهار المهارة الفلسفية، حتى وإن كان هذا، وللمرة الثانية، غير مقصى إلا عند استعراض تحفة ما، إنّما بـــ **ضمان التواصُل والفهْم**.

في **العيّنات الثلاثة**، الّتي جئنا على ذكرها، فإن التأويليَّة تعيّن في كل مرّة، **سيْرُورَةً/عمليّة** متميزة جدًّا، موهوبة بعناية خاصة و هيّ عرضة لعدة تعديلات/ ترميمات.

IV - التأويليَّة القانونيَّة/القضائيَّة

واحدة من بين التَّعديلات الناتجة عنها، لكنّها قد تعتبر **صورة** مستقلة ألا و هي **التأويليَّة القانونيّة/القضائيّة**interprétation juridique هذه الّتي تبحث في كيفيَّة الإحاطة **بمعنى قانون ما**، لغرض تطبيقه على عيّنة حاضرة (في الحاضر) ولقد رأى فيها رجل القانون juriste الكبير والهرمنوتيقي الإيطالي (Emilio BETTI)، **إحدى متغيرات التأويليَّة الفلسفية** وذلك ضمن تنميطيَّته typologie المعقدة complexe لمختلف صور التأويلية التي نجدها في بحث **النَّظريَّة العامَّة للتَّأويليّة** *théorie générale de l'interprétation* الّذي نُشر باللِّسان الإيطالي سنة 1955 (1)

ولكن إذا كانت هذه التأويليَّة غير مختزلة فيها، فذلك لأن التأويليَّة القانونية لا تبحث بالأولى في شرح élucide نص ما بحدّ ذاته والنَّص يبدي أي شكل من الغموض .

إنما عوضًا عن ذلك تهدف إلى الفصل في خلافٍ ما راهن تحرص عملية تأويل قانون على هذا النحو أو ذاك، إنها تأويلية تقيم الحق والتي ستكون هي نفسها مصدرًا تشريعيا jurisprudence.

تُعتمد التأويلية هنا باعتبارها تكون في خدمة التطبيقية الملمُوسة.

إلا أنه في عالمنا المعاصر، تعيّن كلمة تأويلية في بعض الأحيان شيئًا أكثر ample من مجرد سيرورة أو نشاط متميز.

أنها على نحو الخصوص الحالة منذ (نتشه Nietzsche) صاحب العبارة الشهيرة : «لا وجود لأحداث، ثمة تأويلات وحسب»(La volonté de puissance n° 481)

تأتي إذن لفظة التأويلية لإقامة طابع قاعدي-أساسي كمصيرنا الإنساني، العلم بأننا لا نحيا من دون تأويلية.

هذا ما نستطيع إذن أن نطلق عليه اسم : تأويلية حضورنا في العالم.

V- تأويلية حضورنا في العالم

لطالما حضتْ « صُورَةُ » التأويليَّة هذه، باهتمام **الفلاسفة**، إلا أنّها **الأصْعب على التَّحْديد** من البقية، أخذًا بعين الاعتبار طابَعها **الكوْنِيِّ/العالميِّ/الكُلِّي** universalité؛ ولكن أيضًا، انطلاقا من واقع أنَّ كل محاولة لفهْمها، تُضطرُّ، هي نفسها إلى الاعتراف بأنها، هيَّ بدورها، **مجرد تأويليّة**.

يكون في استطاعة هذا **الطّرح** عينه، الّذي بناء عليه « كُلُّ شَيْءٍ هُوَّ تَأْوِيلِيَّةٌ » الازدواج مع **عدّة صوّر**:

1 - يمكن فهمه بمعنى معرفي sens cognitif؛

لا يوجد ثمّة معرفة للعالَم من دون خَطَاطَاتٍ schémes مُسْبقة préalable . حتّى إنها تأويليَّة قد تكون شغّالةٌ من قبْلُ، في مستوى جهازنا الإدراكي.

-2يمكن فهمه بمعنى أيديولوجيsens idéologique؛

فكل رؤية للعالَم، قد تكون موجَّهة بواسطة مصالح صريحة، إلى حدّ ما.

-3 يمكن فهمه بمعنى تاريخي sens historique؛

كل تأويلية هي بنت (وليدة) زمانها، ونماذجها المعرفية paradigmes وسلالمها القيميّة.

4 - إلا أن **التأويليَّة اليوم**؛ غالبا ما يجري **فهمُها**، انطلاقًا من **اللُّغَةِ** langage.

اَللُّغَةُ؛ هيَّ **الحافظُة لتأْويليَّة بكاملها عن الْعَالَم**، و هيَّ تُشكّل **مُوَلِّدَةً** لكافَّة التأويليَّات.

أطروحة هذا **الحضور الكلّي** ubiquité للتَّأْويليَّة إنما تُثير، بكل تأكيد، **مشكلات فلسفية عظيمة**، بما أنها تبدو كإعادة نظر في فكرة **الحقيقة** نفسها، و ما يتعلق **بالاعتدال المعياري** justesse normative.

فإذا ما عاد كل شيء للتَّأْويليَّة؛ فكيف يجري تقسيم/تميز التَّأْويليَّاتِ بعضها عن بعض؟

على هذا النّحو فرضت التأويليَّة نفسها، باعتبارها **الموضوع-البحثي** thème **الكوْنِيّ** الذي لا رَجْعة فيه، لعمليَّة **التَّدَبُّرِ الفلسفيِّ**. يبدو أنها **آخر** موضوع-بحثي، يَسْتَعْرِض مثل هذه **الكَوْنيَّةِ الفلسفية**، وكل ما تبقَّى (من المواضيع-البحثيّة الأُخرى) يمكن إرجاعه إلى نوع معين من «صُورة» التَّأويليَّة.

لقد جرى فهم هذا **الْحُضُورِ الْكُلِّيِّ** للتّأويليَّة، ، في حد ذاته، **بطرُق** شتى ضمْن **الفكر المعاصر**.

أكثر هذه **الطرُق راهنيَّةً**، تلك التي جاءت مع (جياني فاتيمو- Gianni Vattimo)، الَّذي وحّد عصر التّأويليَّة بمصيرنا « الْمَابَعْدَ حَدَاثي »، يكون قد تخلّى عن فكرة تأويليَّة نهائيّة للواقع، و الّذي سيستخلص دروسًا عن التسامح والرَّحْمَةِ charité، من الفكرة التي بموجبها، **لا وجود ثمّة لأحداث** faits، **إنما كلّ ما هناك، تَأْويلاَتٌ فقط**. وهوّ يستلهم (نتشه-Nietzsche)، يقوم بتحويل مذهبه في الْعَدَمِيَّة nihilisme ليصبح مصيرًا بهيجاً 2) .condition heureuse)

إنه يُدين بالكثير لـ(هانزغيورغ غادامير- H.G.Gadamer) و(مارتن هيدغر- M.Heidegger) ، باعتبارهما أيضاً، ممثلان كبيران لهذه الأطروحة؛ **أطروحة كَوْنِيَّة التَّأويليّة**، حتى وإن كانا يفهمانها بِمَعْنَيَيْن **مختلفيْن**(3) للغاية:

بالنسبة لـ(هايدغر-Heidgger) صاحب كتاب *Etre et temps* ، **الإنسان موجودٌ تأويليٌّ**، لأنه مُجابةٌ **لتناهيه** finitude **ولموته** sa mortalité ، وهوّ يبحث قدر الإمكان كيف يحتضنُهُما dompter عبر **مشاريع تفهُّمَاته** projet de compréhension. من خلال درس قدّمه سنة 1923 حول l'herméneutique de la facilité كان (هيدغر) يقول بأن **الإنسان موجودٌ هيرمنوتيقيٌّ**herméneutique لأنه:

أ)	قادرٌ على... أو من شأنه التأويليَّة.

ب)	بل حتى إنه في حاجة إلى التأويليَّة.

ج) إنه يحمل، على الدَّوام، بين أحضانه تأويليَّة معينة،كما هو عليه و كما يكون عليه عالمه. (4)

حسب (هيدغر)، تعتمد هذه المشاريع في أصلها على استشرافات لعملية الفهم الإنساني compréhension humaine، قد تكون **أصيلة** authentiques إذا ما جرى صيّاغتها بمُصطلحات **صوريّة** أو تكون غير أصيلة inauthentiques إذا ما جرى استعادتها فقط، من بين المواضع المشتركة التي تدوس علينا (تَرفسنا).

لو قمنا بتعديل كلمةٍ لـ (فخته-Fichte) مشهورة، لنا أن نقول هنا، بأن «نوع الإنسان الذي نكُونُه، يعتمدُ على التأويليَّة التي تكون لدينا عن وُجُودِهِ.»

في حين يكون (هانزغيورغ غادامير-H.G.Gadamer) قد جمع من جهته، كوْنية التأويليَّة بذلك **المصير اللغوي لكل تَفَهُّمِيَّةٍ** 5) .comprehention) هذه الأطروحة هي الّتي جاءت مُلخَّصة في عبارته الشهيرة : «**الوجود الّذي في مقدورنا فهمه يكون لغةً** » l'être qui peut être compris est langage يريد أن يقول بأن **فعل التأويل** (interprétari) إنّما **يوجد على الدوام مجعولا في لغة للمعنى** ، لكن إنّ **موضوعه** أيضا، هوّ كلّ ما في مقدورنا فهمه (interpretandum) و يوجد مُشَيَّدًا من حيث **هوّ لُغَة**.

قد تتعرف **الفلسفة التَّفْكِيكيَّة** déconstruction لـ(جاك ديريدا-Jaque Derrida (على نفسها ضمن تلك الأطروحة أعلاه، إلا أنها قد تتبنّى **طريقة** متعاضمة في **شكِّيَتها** ، soupçonneuse، أكثر «تفكيكية- Déconstructrice» صوْب المعنى الذي لا يَستعرض نفسه دائما، سوَى عبر **تأويلية لُغويةٍ**.
إذن تَستعرض التأويلية نفسها عبْر حاله **ثُنَائيّة:**

01- حالة تعيسة malhereux بالمعنى الذي تكون فيه، على علمٍ بأنها لن تفلت مُطلقًا من إمبراطورية العلامات.

-02 لكنها سعيدة/مبتهجة heureux بالمعنى الذي يكون من ، المُمكن لها و إلى مالا نهاية له، تنويع التأويلات و الاحتفاء لعباً، بما أنها لمْ تعد تبحث قط، عن معنى أصْليٍّ خارج التأويليّات.

هذا ما دفع بـ(ديريدا) إلى التَّمْييز expressément بين إستراتجيتيْن كبيرتيْن للتأويليَّة:

الأُولى « تبحث في حلِّ الشِّفرة. تحْلُم بحلّ شفرة حقيقة أو أصْل، هاربة/بعيدًا عن لعبة وعن نظام l'ordre العلامة، وهي تعيش/تحيا ضرورة التأويليَّة باعتبارها منْفَى.»

الأُخرى «لم تعدْ ملتفتة نحو الأصْل، مُقرَّةً باللَّعِب».(6)

يقوم (Derrida) بجمع هذه الممارسة الأخيرة للتَّأويليَّة مع « الإقرار affirmation النتْشوي، الإقرار المُبتهج عن لعبة العالَم وعن براءة الصَّيْرورة، إقرارٌ عن عالَم، بلا خطيئة بلا حقيقة ولا أصل، واهباً ذاته لتأويليَّة فعَّالة».(7)

يعتقد (ديريدا) بأن هتيْن التأويليتيْن للتَّأويليَّة، اللَّتان يتَّخذهما « غير قابلتين مطلقا للوفاق »، إنهما الآن يقتسمان حقل العلوم الإنسانيَّة.(8)

في استطاعتنا القول بأن الذكاء الأول للتأويليَّة المُقطَّب من طرف (ديريدا) قد يتعرف أكثر على نفسه ضمن **الأنماط الأربعة الأولى** من التأويليَّة التي جرى تميزها (الفيلولوجيَّة، الفنيَّة، الترجميَّة، القانونيَّة/ القضائيَّة) في حين يصدر **الثاني** أكثر فأكثر عن ذلك الحضور الكلّي l'ubiquité للتأويليَّة، المُفَكَّر فيه باعتباره جهة راسخة Insurmontable لحضورنا في العالَم.

يُميِّزُ (بول ريكور-Paul Ricœur) من جهته، بين مُقاربتيْن كبيرتيْن للتَّأويليَّة، تتأسَّسان على المنحى الّذي تتّخذه الذات المُؤَوِّلة:

هيرمونتيقا الشَّكِّ un herméneutique du soupçon

هيرمونتيقا الثِّقة (un herméneutique de la confiance(9

إذا كانت **هذه** الأخيرة (هرمنوتيقا الثقة) تستمدُّ المعنى كما هو معْطى، ترى فيه تعْبيريَّة عن إرادة أو ذكاءٍ يهب التَّفْكير؛ فإن **الأخرى** محترسة/مُحتاطة se méfie من هذا العطاء الأوَّل للمعنى، مُشَكِّكَةً بأنه يكون على الدوام متجدّدًا بواسطة « أيديولوجيا » معيّنة بواسطة مصالح مُعينة باطنية، أين يتمثَّلُ دور الهرمينوتيقا الشَّكِّية في تسليط الضوء عليها(إخراجها إلى وضح النهار).

هذا النمط من التأويليَّة الذي مارسهُ «مُعَلِّمُو الشَّكِّ.» Nietzsche، Freud... ولكن، بالإضافة إلى هؤلاء، وريثان أكثر راهنيَّة؛ (ميشال فوكو- Michel Foucaulte) و(جاك ديريدا- Jaque Derrida).

خلال سنوات 1970 انطلق «صراع التأويلات» conflit des interprétations ليعارض بين هرمنوتيقا (Gadamer/ Ricoeur) المؤسسة على «الفنومنولوجيا» بمعنى فكر يقول عن نفسه بأنه ينْتبهُ للمعنى كما يجري انعطاؤه، و بين نقد الأيديولوجيات La critique des idiologies المُوالية للماركسية marxienne أو الفرُويْدِيَّة freudienne، التي تتحدى بتأويليَّة ما يترسّبُ في الدرجة الأولى من المعنى.

ربما لقد فقد هذا التَّصارع شيئًا من حدّته، ليس فقط لأن ثمة عددًا لا يُستهان به من المؤوِّلين مدُّوا جسْرًا فيما بين نمطيْ التأويلية (ApeL -Habermas)، بما فيهم أيضًا Ricoeur) إنما أيضًا لأنه جرى تدارك أمر أن نقد الأيديولوجيات إنما يتوضّع هو نفسه على تأويليَّة ما للواقع.

فيما وراء كافَّة هذه الصُّور التأويليَّة و كل هذه التأويليَّات للتأويليَّة، في استطاعتنا التَّساؤل عما إذا كان في وُسْعنا الاعتراف لها **بتسْمية مُشتركة.** لا يتعلق الأمر هنا الإحاطة بتعريف en bonne et due forme de l'interprétation إنما بالعرض الواضح للحِراك الجوهري.

إن **تأويليَّة نصٍّ، أداءُ مقطوعة،** القيام **بعمل تُرجمان، تطبيق قانون.** الحياة/العيش ضمْن **رؤية للعالَم،** سواء لأجل تقاسُمها أو بهدف تفْكيكها، ما السّبب في أن كل هذا من الممكن التعبيرُ عنه بمساعدة اللَّفظ الواحد نفسه، ذلك الذي هو التأويليَّة؟

ما يبدو أنه فكرة مسبقة/مُقتضى Présupposé داخل كل واحدة من صور التأويليَّة هذه، هو أنَّ المعنى يستدعي **وساطة** médiation عملية بثٍ/إرسال Transmission.

تأتي فكرة التأويلية دائمًا، للتَّعبير عن prestation intermédiaire inter-prestation هذه الّتي تفترض مُسبقا أن المعنى لن يكون في المستطاع فهمه أو تحْيينه actualisé من دونها:

لن يتم فهم نصٍّ، تحفة فنية، لسان أجنبي، قانون أو العالم، سوى **بعد استخراج معنى لها** La mise en sens.وضعها داخل المعنى هذا يدرجُنا ضمن **سيْرُورة إرساليته:**

لن نتمكن من فهم تأويليَّة ما، سوى إذا دخلناها بشكل ما. إن الفعل اللاّتيني interpretari (المتداوَل أكثر من l'actif interpretare) هو ما يَطلق عليه النُّحَاة le grammariens «un verbe déponent» هذا الذي يماثل إلى حدٍ ما الصَّوْت voix المتوسِّط بالإغريقية، بمعنى أنه فعلٌ يتم إليه ربْط معْنى فاعلاً sens actif ، إلا أنه يتم تصْريفه مثل أفعال المفعول به passif ذلك لأن أمرًا ما « arrive يحلُّ » بمن ينجز الفِعْلَ.(10) إنه يتضمن شيئًا من فاعل actif ومفعول passif. ذلك ما نلاحظُه في الفعل «interpréter»:

ففي كل مرَّة نكون بصدد نشاط activité، سيْرورة processus، إلا أنه يستمدُّ معناهُ من هناك، من النص المُراد تأويله، المقطوعة المراد أداؤها، اللِّسان المراد ترجمته، القانون... ومن الوجود الَّذي يريد أن يقول (الَّذي « يَنْقَالُ » بشكل ما) والَّذي يكون الوسيط هنا le médiateur هو المؤَوِّل l'interprèt.

تتوضَّع التأويليَّة داخل هذه «interstice». الأمر الذي يصدر عنه محاولة مزدوجة ضمن نظرية التأويليَّة، المفهومة بشكل جيِّد، الَّتي ربما يكون من الأفضل مقاومتها:

تلك المتمثِّلة في التأكيد بإلحاحٍ insister؛ إما على **طابعها الفاعل** actif أو على **الخاصّية المفعولية** passivité **لعملية الفهم.**

في **الأولى**، يجري (اتخاذ المؤوّل، أو لغتهُ، باعتباره المُبدع والمحترف لمعنى قد لا يكون موجودًا من دونه، أما في **الحالة الثانية**، فلا يجري الاعتراف له سوى بوظيفة مفعولية passive (سلبية) subalterne تلك المتمثلة في التعبير عن معنى قد يكون موجودًا من دونه.

ثمَّة مثل لاتيني يُضرب adage latin ، غالبًا ما ذكره(Emilio Betti)، يسمح بتوثيق هذه الثُّنائية sensus non est inferendus(11، sed efferendus) في ترجمة حرة: لا يجب «إقحام» المعنى (داخل النص) إنما استخراجه منه.

ضمن **رحمة** كل من (نتشه) ، (هيدغر) ، (سارترSartre-) و (دُولوزDeleuz -)، ظل **الهرمنوتيقيون المعاصرون** يؤكدون بقوة على فكرة أن التأويليَّة إنما تكون نشاطا **خلاَّقًا للمعنى.**

من دون الاعتراف بذلك، فإن ذكاء التأويلية هذا، يدينُ بالكثير **للمفهمة الحديثة للإنسانية**، من (ديكارت - Descartes) إلى (كانط - Kant).

بالنسبة لها، **الإنسان روحٌ محْض**، يتواجد صوْب **عالمٍ** («متعدد» مشتّت، حسب كانط) **يجب** عليه **ترتيبُه** بمساعدة خطاطاته ومفاهيمه.

الفكرة المسبقة هنا هي مفهمةٌ ذات مذهب إسْميٍّ nominaliste إلى حدّ ما عن «العالم»:

يشكل العالم كُتلةً في عطالةٍ inerte بما يكفي؛ خرساء من دوننا نحن؛ فكل معنى هو صادرٌ عن ذكائنا، الذي « يؤوِّل » العالمَ بطُرق مختلفة.

إذن يقع التأكيد هنا حكرًا على فعّالية تأويليَّة الذات l'activité d'interprétation du sujet

هذا ما يماثل/يتصل بالمصير الحديث للذاتية، هذه التي يكون المعنى عندها « الإنْقِحَامُ » في العالم. إلا أن هناك سؤالا صغيرًا يريد طرح نفسه: infrendus/à introduire

من أين جاءت عملية إدخال المعنى؟ هل من الروح؟ من النَّحْو ؟ من أيديولوجيَّة ما؟ من تاريخ الميتافيزيقا؟

كل ذلك على الرّحب والسَّعَةِ. لكن هناك ربّما يجري نسيان المدى-المرْمى الأنطولوجي للتأويليَّة، علاقتها مع الوجود الذي يسْبِقها ويجعلها مُمْكنة. سنقوم هنا بضرب مثال بسيط جدًّا، نستمدّه من **العلم المعاصر**: لقد جرى مؤخرًا « اكتشاف » التركيبة الرَّقْميَّة لِلْجِينُومْ البشري.

يتعلق الأمر بدون تعرُّض لعملية تأويليَّة بالمعنى «الفاعل-actif» للمُصطلح. لا أحد كان له علم بها من قبل؛ ويُراهن بقوة أن ذكائها ذلك، سيتمُّ إرهافه و التدقيق فيه خلال المائة سنة. لكن من الواضح أن هذه التأويليَّة، إنما تريد التعْبير و ترجمة شيءٍ موجود qui est ؛ معنى ذلك، شيءٌ ما باعتباره لغات مصيرنا الوِراثيّاتي les langages de notre condition génétique

ما من شك في أن نظرياتنا حول الجينوم ما هي سوى تقريبات Approximations (وفرضيات)، إلاّ أنَّها تقريباتٌ **ذات معنى**، بل وحتى **ذات لغةٍ**، لأشياء سابقةٌ حتّى النظرية نفسها.

بأسلوب آخر؛ إذا كان الـــ (معنى sensus) غالبا ما يظهر كـــ (مُستنبط infrendus) (مُدخلٌ/ منْقحمٌ، بطريقة، إلى حدٍّ ما اعتباطية، داخل الأشياء) فلا يجب أن ننسى بأن المُستنبطَ efferendus يكون أيضًا، ما **يُستخرج** من **الأشياء** ومن **التُّحف** في حدّ ذاتها. حتى أنه عادة ما يُقال عن تأويليَّة بأنّها تمارسُ العُنف على النَّص أو العُنف و التَّفسير على التُّحفة التي يتعلق الأمر بإعادتها على أنها «بالغة الذاتية». ففي استطاعة التأويليَّة إذن، أن تعوّض التُّحفة في حدّ ذاتها.

قد يتعلق الأمر بخلق جديد بارع للغاية، لكن التأويلية التي تميلُ/ترْمي إلى تعْويض التُّحفة؛ رُبّما قد تنسى وظائفها، التي من بينها الوساطة médiation و الإرسال transmission.

أحيانًا يقول (غادامير) بأنّ التأويليَّة الأكثر نجاحًا هي تلك التي لا تثير الانتباه من حولها باعتبارها كذلك، وتختفي ضمن التُّحفة.(12) ذلك ما يُشاهَد في **المسْرح** أو **السّينما**:

إذا تقدّم المُمَثِّلُ بتأويليَّة رائعة لشخصية ما، فليس ذلك لأنَّنا نُعجب بأداء المُمَثل، إنّما لأننا نعتقد

كما لو أننا في حضرة الشخصية المستمثلة؛ و أنّنَا لا نستطيع تخيُّل الأمر خلاف ذلك. هذا ما يشاهد عادة في **الفنِّ التَّشْكِيلِيِّ** peinture.

إنّ تُحفة الـــ«le sacre de Napoléon» للفنأّن (دافيد-David) تجعلنا نشاهد الإمبراطور أفضل بكثير ممَّا تقدمه لنا أيّة بطاقة مصورة photographie أو أي سيرة ذاتية biographie. كما هو عند (ميكائيل أونج Michel-Ange) الّذي من خلال تُحفته la chapelle Sixtine يقدّم لنا واحدة من الاستمثالات الأكثر إقناعًا عن الله Dieux (حتى وإن لم يشاهدْه أحد أبدًا). كذلك الأمر بالنسبة **للتَّرجمة**، لن تكون أبدًا ناجحةً سوى عندما **لا** يكون لنا **وعيٌ بأنَّنا نقرأ ترجمةً.**

لنْ يُشَاهَدَ **المُخْرِجُ، المُمَثِّلُ، الرّسام التَّشْكيليُّ، المُوسيقار، التُّرجُمَان، المُؤَوِّلُ**، أو **المُشَرِّع** الّذي يؤوّل قانونًا وهو يتبناه بطريقة مرنة سيّالة على العيِّنة الملموسة، لكن ليس ذلك لأن التأويليَّة تريد لنفسها أن تكون أكثر سرّية discrète، إنما بالعكس تمامًا، لأنها تتمتّعُ بمهارة virtuosité خارقة للعادة.

وهي تستثمر ضمن وظيفة **الوساطة**، فإن التأويليَّة تجد نفسها، مرّة واحدة، موزّعةً بين **قطْبين اثنين**، من الضروري الموازنة بينها: **قطب** بالغ **الموضوعيَّة وقطب ثانٍ** بالغ **الذَّاتيَّة**.هذا ما لوحظ داخل أنماط التأويليَّة التي جرى تميزها أعلاه.

في **التأويليَّة الفيلولوجيَّة**؛ إنه حقا، معنى النص، في حدّ ذاته، هوّ ما يجب استخراجه، إلا أنها لا تقوم بذلك، سوى عبر **وساطة** التأويليَّة.

نفس الشيء في حالة **التأويليَّة الفنيَّة**؛ حتى وإن ظُنَّ estime في الغالب الأعم، بأن المؤوّل يستمتع juit هنا بقدر أكبر من Latitude.

لكن، يبقى الأمر أنَّنَا **لا نستطيع تأويل تُحْفَةٍ كيْفما كان**، أو يحسب رغْبتنا المفضلة. وإلاَّ؛ فلن يكون الأمر يتعلّق بتُحفة نقوم بتأويلها، إنما فقط، نحن نقوم باستعراض **ذواتنا** أمام أنفسنا.

أما في **التأويليَّة التُّرجُميَّة**؛ يكون أيضًا من الواضح جدًّا بأن القطب **الموضوعي** هو الفائز. فالمؤوِّل، باعتباره ترجمان، يجد نفسه **مشدُودًا إلى المعنى** الذي يجب عليه إرساله/بثُّه.

في هذا الإطار ماذا يكون أمرُ **تأويليَّة حُضُورنا في العالَم**؟

هنا، كل شيء يبدو وكأنه يعتمد على الذَّات sujet، على لغتها son langage، على ثقافتها وعلى تاريخها.

هذا ما أدى بــ (نيتشه) إلى القوْل بعدم، وجود أحداثٍ faits، كل ما هناك تأويلاتٌ فحسْب. لكن هل ذلك هو عيْنُ الصّواب؟

فما يجري تأويله، أليس هو على الدوام معْنى ما، عالَمٌ ما، له السبْق qui excède والذي منذئذٍ يحكم التأويليَّة في حدّ ذاتها؟

جرى كلام فيما سبق هُنا، « عن تأويلية للطبيعة - interpretatio naturae»«

لقد وُجد مصطلح التأويلية هذا خصُوصًا ضمن عُنوان المؤلف الرائد لـ(فرانسيس بيكون-(1626-1561 (Francis Bacon, *le Novum Organum sive, indicia vera de interpretatione nature* (1620

لقد كانت تأويليَّة الطَّبيعة هنا، في تعارُض مع استشراف anticipatio الطَّبيعة الَّذي ساد حسب Bacon))، في التقليد الأرسطوطاليسي.

لقد دافع Bacon)) إذن، على أنّ الطبيعة نفسها، في حركتها وذكائها الداخلي، هيَّ ما يتعلَّق الأمر بولوجه عن طريق التأويليَّة.

لطالما فكَّرْت بأن هذا التّعْبير يعود لعصر آخر، عندما وجدتُه من جديد داخل هذه الحدائق النَّباتية أو هذه المَحْمِيَّات الإيكولوجيَّة، أين نجد اليوم « مراكز للتأويليَّة » centres d'interprétation . وظيفتها هي مُساعدتنا على فهْم روْعة الطبيعة و كيفية اشتغالها fonctionnement.

هنا، يكون في استطاعتنا القول بأن **القطب الموضوعي** هو الذي يستعيد حُقوقه:

الطبيعة هي ما يتعلق الأمر باكتشافه. وعليه، لن يكون في استطاعتنا القول إذن، كما يقال باستمرار، بأن كل معنى هو صادر عن تأويليَّة أو أن كل شيء هو قضيةُ تأويليّةٍ. ذلك لأن **التأويليَّة نفسها، تعود لشيء آخر**. وربّما لن تكون **التأويليَّة** أبدًا **نفسها** سوى عندما **تنْسى نفسها بالذات**.

Jean GRONDIN

إحالات و هوامش

1. بكلّ أسف، حتّى الآن ما زالت أعمال (بيتّي-Betti) غير مترجمة إلى الفرنسية، سيُسمح لي بالإحالة لتقديميّ العام ضمن «الهيرمينوتيقا كعلم صارم حسب «إيمليوبيتّي» *l'horizon herméneutique de la pensée* **dans** *contemporaine-177*, **Paris,Vrin,1993,pp.155**

Voir G.Vattimo, *la fin de la modernité :nihilisme et herméneutique dans la culture moderne*, **.2 Paris, Seuil, 1987;** *Ethique de l'interprétation*, **Paris, la Découverte, 1991**

3. فيما يتعلَّقُ بهذه الإختلافات، تُراجع دراستنا حول «العبور من هيرمينوتيقا (هيدغر) إلى تلك الّتي لـ (غادامير) « ضمن كتاب *le tournant herméneutique de la phénoménologie*, **Paris, PUF, coll. « philosophie», .2003, pp. 57**

4. Voir M. Heidegger, *Ontologie. Herméneutique de la facticité*, **cours de semestre d'été, Œuvres complets (***Gesamtausgabe* **), t. 63, p. 64 .**

5. H. G. Gadamer, *Vérité et méthode. Les grandes lignes d'une hérméneutique philosophique* **(1960), Paris, Seuil, 1996.**

6. Voir J. Derrida, «*la sructure, le signe et le jeu dans le discours des sciences humaines*»**, dans,** *L'Ecriture et la différence*, **Seuil, 1967, collection «Points», 427.**

7. Ibid.

8. Ibid.

9. **P. Ricœur**, *De l' interprétation. Essai sur Freud,* **1965** ; *Le conflit des interprétations. Essais d'herméneutique*, **Seuil, 1969. Voir aussi son essai récapitulatif sous le titre** «*De l'interprétation*» **dans** *Du texte à l'action. Essais d'herméneutique II*, **Seuil, 1987, pp. 1135-.**

سيُسمح.10 لنا بإثارة أمثلة أُخرى عن هذه الأفعال déponents: «imaginari (imaginer), cunctari (hésit أم

11. Voir E. Betti, *Zur Grundlegung einer allgemeinen Auslegungslehre* (أجل التّأسيس لنظريَّة كوْنيَّة في التّأْويليَّة)،1954, p. 21 nouvelle édition Mohr Siebeck, Tubingen,من

12. Voir Hans-Georg Gadamer, *Esquisse herméméutique*, Paris, Vrin, 2004, p. 232 : « ماهوّ إذن معيار التّأويليّة الصّحيحة؟ يسْألوني مئات المرّات، ويفاجأ النّا س و هم يسمعوني أقول ، فيما يتعلّق بتّأويليّة قصيدة شعريّة، بأنّ معيار تأويليَّة «صحيحة»هوّ أنّها تختفي مطلقاً مباشرة إثر إعادة القراءة ذلك لأنّ كلّ شيء سيصبح إذن بديهيًّا جدّاً.»